Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فضائح الجنس والغرام إلى ذكريات الكاتب ، عن الحياة والناس والباعة على البر فى الموانئ ، التى تتوقف عندها السفينة ، والآثار والتحف ومعالم التاريخ والجغرافيا لكل ميناء وبلد ، وهى أحاديث وصور وذكريات وانطباعات لا علاقة لها بالبحر وعالمه من قريب أو بعيد .

ويبدو أن الكاتب ، بعد أن حرر ثلث كتابه ، لاحظ ابتعاده عن البحر الذى منحه عنوانه ، فقرر على لسان أحد شخصياته « الكابتن راثمان » أنه ابتعد عن البحر « لكى تعيش فى البحر لا تخرج بعيدًا عنه .. » بل إن الكاتب ليتساءل فى مرارة : ماذا فعلت فى أيامى الماضية .. وماذا عرفت عن البحر ؟ « فالبحر كما قرر « الكابتن راثمان » ، يتطلب النفاذ إلى الأعماق والجوهر . ويتحدث « راثمان » بحكمة الخبير بعالم البحر بعد أن قرر العودة نهائيًا إلى البيت ، تلك العودة التى انتظرها طويلا ، وعندما حانت لحظة الافتراق عن البحر شعر بإحساس من يعتزل الحياة : « أنا عائد إلى البيت يا صديقى .. لن .. لن أقود سفينة بعد ذلك ، لن أحدث الأمواج والرياح ، سأرقبها فقط من بعيد ، مجرد عجوز يجلس على الشاطئ فى سكون يجتر ذكرياته .. البحار يا عزيزى عندما يعتزل البحر يشعر وكأنه يعتزل الحياة ، يشعر وكأنه يزف إلى القبر .. وهكذا حالى .. « فإحدى الحقائق الأساسية فى حياة البحار تكمن فى لحظة الإبحار » والانفصال عن الأرض ، ليغوص فى عالمه المالح الكبير ! »[٥١] .

وتبدأ الرحلة البحرية الحقيقية بعد أكثر من سبعين صفحة من مذكرات وانطباعات الكاتب عن جولاته فى الموانئ التى تستغرق معظم صفحات الكتاب . تبدأ بتعطيل آلات السفينة من جراء إصابتها بعطب أدى إلى وقوفه فى عرض البحر كالألعوبة فوق الأمواج يدفعها التيار نحو جزيرة صخرية مجهولة . وهكذا ندخل فى حجرة القيادة ونتابع المصطلحات البحرية والأحاديث المتبادلة بين القبطان وضباطه حول قياس الأعماق والمسافات بين السفينة وأقرب فنار ، حتى ينذر التقرير الجوى بعاصفة وشيكة الوقوع . وسرعان ما تحققت النبوءة .. « هبت الريح عاتية ، علا البحر ، وارتفعت قمم الأمواج وأخذت تلطم جدران السفينة بقوة ، وتلبدت السماء بكتل السحاب وانتهى القبطان من قراءة التقرير الجوى ، وقال فى صوت جاف السلطة مخطاف جنب شمال »[٥٢] هنا يعمل رجال البحر بثبات فى مواجهة أنواء البحر وعواصفه وتقلباته فمسئوليتهم مضاعفة عن سلامة السفينة وركابها .

---

(٥١) صالح مرسى ، البحر ، ص ٦٩ و ٧٠ .

(٥٢) المصدر السابق ، ص ٧٩ .